د. مُحَمَّد فوزي رحيل، القراءةُ الشَّعبيةُ المصريةُ للحملة الصليبية السابعة سيرة الظاهر بيبرس نموذجًا، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص٥٩- ٨٦

القراءةُ الشَّعبيةُ المصريةُ للحملة الصليبية السابعة
سيرة الظاهر بيبرس نموذجًا

د. مُحَمَّد فوزي مصري رحيل

جامعة مطروح – مصر

الملخص:

لم تكن الحملة الصليبية السابعة على مصر (١٢٤٨-١٢٥٠م) بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، حدثًا عابرًا في تاريخ مصر الإسلامية؛ مما حدا بالمؤرخين المحدثين - في الشرق

للحملة، تكوين الحملة، جغرافية الحملة، الجاسوسية، أحداث الحملة، فنون الحرب، مطاردة الفلول الصليبية، دوْر بيبرس، دور تورانشاه، وأخيرًا دوْر الشعب.

الكلمات المفتاحية: بيبرس؛ لويس التاسع؛ مصر؛ الحملة الصليبية السابعة؛ السيرة الشعبية؛ المنصورة؛ دمياط

The Egyptian Folk Interpretation of the Seventh Crusade Al-Zaher Baybars Biography as a Model

Dr. Muhammad Fawzi Raheel
Faculty of Education, Matrouh University - Egypt
raheela2010@gmail.com

Abstract:

The seventh crusades against Egypt (1248 - 1250 AD) which had led by Louse IX of France, wasn't a passing event in the history of Islamic Egypt. This event prompted the modern historians – in the east and west a like- to produce a large number of researches. The majority of those works depended on traditional sources of history, which reflected in frequent use of data, research process, and the similarity in results. For that reason, it wasn't straightforward doing more studies about the seventh crusade, for seeking new facts or clarifying some unclear issues, without using untraditional sources such as biographies and folk epics. This paper searched for new aspects about this turning point in the history of relation between east and west by using books of Egyptian folk literature to identify the folk interpretation of the seventh crusade, through monitoring the social connotations of Egyptians towards St. Louis campaign. The popular

مقدمة:

لم تكن الحملة الصليبية السابعة على مصر (٦٤٦- ٦٤٨م/ ١٢٤٨-١٢٥٠م) بقيادة لويس التاسع Louis IX (٥٢٣- ٦٦٨م/ ١٢٢٦- ١٢٧٠م) حدثًا عابرًا في تاريخ مصر الإسلامية، مما حدا بالمؤرخين المحدثين -في الشرق والغرب على حدٍّ سواء- لإجراء عددٍ كبيرٍ من البحوث والدراسات[١]، التي اعتمد جلُّها على المصادر التاريخية التقليدية[٢]، وهو ما ترتَّب عليه كثرة التكرار في المادة العلمية والمعالجة البحثية، مع التشابه في النتائج، الأمر الذي تطلَّب اللجوء للمصادر غير التقليدية مثل كتب السِّير والملاحم الشعبية؛ سعيًا للتعرُّف على موقف عامَّة المصريين من الحملة الصليبية السابعة، ومدى تقديرهم لجهود السلطان الصالح أيوب ومماليكه للتصدِّي للحملة والقضاء عليها، ومقدار الوعي الجمعي بالأحداث التاريخية الفعلية. كما تسعى الدراسةُ لرصد الدلالات الاجتماعية، والمغزى الثقافي الكامن وراء الاستخدام الشعبي للتاريخ، وصولاً إلى فَهْم الموقف الوجداني لعامَّة الناس تجاه حوادث الحملة الصليبية السابعة وشخوصها.

وقد حرص العقلُ الجمعيُّ الشعبي المصري على تدوين رؤيته للأحداث التاريخية الكبرى والشخصيات التاريخية البارزة في مدوَّنات مطوَّلة -اختلطت فيها الحقيقة بالخيال- عُرِفت بالملاحم أو السِّير الشعبية[٣]، ولم تحُفظ هذه الملاحم في رفوف المكتبات انتظارًا لمطالعة طلاَّب العلم والمعرفة، لكنها خرجت لعامَّة الناس، يرويها شاعر الربابة -من ذاكرته- ليلة بعد ليلة على المقاهي في القاهرة والإسكندرية وشتَّى بقاع مصر والشام، ليس لمجرد المتعة والتسلية فقط، لكن يبدو أن العقل الجمعي أراد أن يقول: "إن كتب التاريخ الرسمي ليس من حقِّها -وحدها- احتكار الرؤية التاريخية، لكن الشعب أيضًا له رؤية يجب أن تحُترم، حتى وإن بَعُدت عن الحقيقة التاريخية. ومن ثمَّ لم يكن غريبًا ظهور سيرة الأميرة ذات الهمَّة التي دار محورها حول الصراع الإسلامي البيزنطي على الحدود الشمالية لبلاد الشام[٤]. وكذلك سيرة الظاهر بيبرس -مصدر هذه الدراسة-، التي ارتبطت بالظاهر بيبرس وجهوده في التصدِّي للصليبين والمغول. وغيرهما من السِّير الشعبية التي لُوحظ تقاطعها في بعض الموضوعات والانطباعات، كما سيتضح لاحقًا.

والمصدر الأساس لهذه الدارسة هو السيرة الظاهرية، التي دارت حول شخصية السلطان الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨- ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)، أو "تاريخ الملك العادل صاحب

الفتوحات المشهورة (السلطان محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام". وهذه الملحمة في الأصل رواية شفاهية شعبية يختلط فيها التاريخ بالخيال، ولا نعلم على وجْه التحديد تاريخ تدوينها، لكن من الواضح من خلال مطالعة السِّيرة أنها دُوِّنت في القاهرة في العصر المملوكي، وتطورت ونمت عبْر السنين إلى أن أخذت شكلها النهائي في بدايات الحكم العثماني لمصر(٥).

أما عن موضع أخبار حملة لويس في سيرة الظاهر بيبرس، فإنها تقع ضمن المجلد الثاني من السِّيرة أو في الفصل الرابع عشر منها(٦)، وبالرغم من اقتضاب ما ذكرته السِّيرة عن الحملة فإنه يعبّر بوضوح عما تركته حملة لويس في العقل الجمعي المصري، وهذا هو ما تسعى إليه هذه الورقة البحثية. ومن خلال مطالعة السِّيرة يمكننا رصد عدد من القضايا، أو الظلال التي تركتها تلك الحملة في الذاكرة الشعبية المصرية على النحو الآتي:

أولاً: سبب الحملة:

فيما يتعلق بأسباب الحملة - في الذاكرة الشعبية- كما جاء في سيرة الظاهر بيبرس، نلحظ أن الشعب المصري سواء في عصر الحروب الصليبية، وما تلاها كان يعي جيدًا تاريخ الصراع الإسلامي الأوروبي في عصر الحروب الصليبية، وأنه سجال بين الطرفين يومٌ لك ويومٌ عليك. الأوروبيون لا يكفُّون عن الغزو والمسلمون لا يتوقفون عن الدفاع. غير أن السبب المباشر للحملة أبتِ الذاكرةُ الشعبيةُ أن تجعله ردَّ فعلٍ لهجوم من الملك الصالح أيوب ولي الله المجذوب(٧) على مدينة جنوة(٨)؛ لاسترداد بيبرس الأسير الذي غافله جوان عالم الملة المسيحية ونقله مخدرًا بالبنج إلى مدينة جنوة، وبسبب نجاح حملة السلطان نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٤٠- ١٢٤٩م) في حملته وإذلال ملك جنوة في بلاده وإجباره على فداء نفسه بالمال، استنفر جوان ملوك المسيحيين للثأر خشية تمكُّن بيبرس، وتملكه، مما يمهد لحرب ضروس يخوضها لطرد الصليبيين وقطع دابرهم وكفِّ عاديتهم(٩).

وبالرغم من أن استرداد الصالح نجم الدين أيوب للقدس عقب موقعة الحريبية عام (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)، كان سبب الحملة بجانب المحافظة على كيان الصليبيين المتداعي(١٠)، فإن السِّيرة لم تهتم بهذا الأمر لكنها جعلت مصر محورًا للصراع الإسلامي الصليبي، وليس الشام ولا القدس، وهذا الأمر يتوافق إلى حد كبير مع الواقع التاريخي عقب حطين وفشل الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٦- ٥٨٨هـ/ ١١٨٩- ١١٩٢م)، حيث توجَّهت الحملات الصليبية

الكبرى نحو مصر بحكم أنها القوة الإسلامية الكبرى التي تصدت لهم[١١]. وبالتالي وقَر في الذاكرة الشعبية عبْر القرون، وبعد أن استردَّ المسلمون الساحل الشامي أن مصر هي الهدف وليس مكانًا آخر[١٢]، ومن هنا تخلَّى الراوي الشعبي عن الحوادث الواقعية لصالح الفكرة الأساسية، وهي استهداف مصر. والواقع أن رسوخ جنوة في الذاكرة الشعبية دون غيرها من المدن لم يكن من فراغ، فعلاقة جنوة التجارية بمصر تسبق الحروب الصليبية[١٣]، ومع اندلاع هذه الحروب شاركت جنوة منذ وقت مبكر في الحملة الصليبية الأولى، وكان لمساندتها دور كبير في سقوط عدد من المدن الشامية في يد الصليبيين، ومنها قيسارية التي سقطت في أيديهم عام (٤٩٤هـ/ ١١٠١م)[١٤]، كما ضربوا بسهم وافر في حملة لويس التاسع على مصر، حيث استأجر منهم لويس إحدى عشرة سفينة[١٥]، ومن ثمَّ كان اسم جنوة -في الذاكرة الشعبية- يحمل المرارة ويُذكر بالدماء التي سالت دفاعًا عن الأرض والعرض في مصر والشام.

ثانيًا: الدعوة للحملة:

كانت الذاكرة الشعبية مدركة تمامًا أن حملة لويس لم تكن حملة صغيرة، وبالتالي احتاجت لدعوة من قِبَل رجال الدين، وتوافر كوادر بشرية قادرة على القتال، بجانب التمويل الضخم، ومن ثمَّ عبَّر عن ذلك الراوي الشعبي بشكل يقترب من المنطقية ويرضي أسماع المتلقين من جمهوره البسيط، وإن كان بعيدًا في تفاصيله عن الواقع التاريخي، فقد جاء في السِّيرة "وكانوا هؤلاء الجبابرة الكفار والسبب في مجيئهم أن جوان لما هرب من عند الرين حنا، قال له سيف الروم وما تريد أن تفعل فقال له: أريد أن أركب على بلاد المسلمين، لعلِّى آخذ بالثأر وأجلِّى عن نفسي العار ثم سار اللعين إلى الخلوات فاجتمع بهؤلاء الأربعة، وكان مقامهم في قلعة على سن الجبل يُقال له: جبل المرور، يمر عليه المسافرون وكان مقامهم في الجبل لأجل نهب التجار وقتل المسافرين، فلما دخل عليهم جوان استقبلوه وحيوا مثواه وذبحوا له خنزيرة تحت رجليه، ولما أن استقر به الجلوس بكى واشتكى، فقالوا له: ما يبكيك يا عالم الملة؟ فقال: أبكي على ملَّة زرارة لم بقت تساوي زبلة حمارة، وقد ظهر يا أولادي غلام ابن حرام يقال له بيبرس، وهو الذي يهد الصوامع ويبنيها جوامع ويهد الكنايس ويجعلها مدارس، ويسد بلاد أهل الطغيان بالزفت والقطران، وقد أتاني السيد المسيح في المنام وقال لي: لا تقع لك النصرة إلا على فرعه وأخيه فرعية والملكين الآخرين بولص وحنين، فأتيت إليكم يا أولادي وأعلمتكم بما قال المسيح، وقد أوعدكم النصر وأوهبكم في الآخر

بسقر، ففرحوا فرحًا شديدًا ما عليه من مزيد ثم جمعوا الرجال وفرقوا عليهم الأموال، وسار بهم جوان إلى أن أتوا إلى ذلك المكان"[١٦].

وبمراجعة هذا النص القصير الثرى؛ نجد كثيرًا من الموافقات للتاريخ الرسمي: **وأولها**: وصْمُ الأوروبيين بالكفر، وكان ذلك من الأمور الشائعة في المصادر المسلمة والمسيحية على حد سواء أن يتهم كل منهما بالكفر، بسبب الخلاف الديني، وما نتج عنه من صراع عسكري لم يكن الدين وحده سببًا لها، فمن الطبيعي أن يكفر المسلمون بما يعتقده المسيحيون من التثليث وألوهية المسيح، مع الإيمان بالمسيح كنبيٍّ معجزة وُلِدَ بغير أبٍ، ومن الطبعي أن ينكر المسيحيون نبوة الرسول ﷺ ومصطلح الكفر هنا هو إقرار واقع أكثر منه سُبَّة[١٧].

الموافقة الثانية: دوْر رجال الدين في الدعوة للحرب الصليبية[١٨]. لا يمكن إنكار دوْر رجال الدين المسيحي في الدعوة للحرب الصليبية، وهذا الدوْر لا يُنكر منذ الدعوة للحملة الصليبية الأولى على يد أوربان الثاني، وما لوح به للأوروبيين من منافع دنيوية تتعلق بخيرات وثراء الشرق، وأخرى أخروية تتعلق بالمكان الذي وُلد وعاش وصُلب فيه المسيح (كما يعتقد المسيحيون)، وما يحصل عليه المشارك للحملة من غفران للذنوب[١٩]، كذلك يمكن رصْد دوْر رجال الدين المسيحي البارز في الدعوة للحملة الصليبية السابعة أو حملة لويس، وكان على رأسهم البابا أنوسنت الرابع Innocent IV (٦٤٠-٦٥٢هـ/ ١٢٤٣- ١٢٥٤م) الذي دعا لمجمع ليون الكنسي Council of Lyon (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) وحضره جمعٌ من رجال الدين الذين قدموا من الساحل الشامي ليصفوا سوء الأحوال في ظل تتابع الضربات من قِبَل الصالح نجم الدين أيوب[٢٠]، وهو ما عبَّرت عنه السِّيرة بأن جوان عالم الملة قد جاءه المسيح ووجَّهه لاختيار الملوك الأربعة الذين ذكرتهم السيرة[٢١].

ولعلَّ هذه النقطة من نقاط التقاطع بين السِّير الشعبية، حيث أدرك الراوي الشعبي دوْر رجال الدين المسيحيين في الصراع العسكري بين العالم الإسلامي وأوروبا في العصور الوسطى، سواء من قِبل الغرب الأوروبي ممثلاً في فترة الحروب الصليبية كما ذكرنا، أو من قِبل الشرق البيزنطي في عصري الأمويين والعباسيين، كما جاء في سيرة الأميرة ذات الهمَّة. فقد ظهر جوان في سيرة الظاهر بيبرس -كما قدمنا- أما في سيرة الأميرة ذات الهمَّة فظهرت

شخصية القاضي عقبة بن مصعب السلمي[٢٢]، الذي عاش في بغداد في صورة قاضٍ، وهو في الحقيقة واحد من كبار رجال الدين البيزنطيين، تفوق مكانته مكانة البطريرك البيزنطي نفسه. وكان سبب تواجده بث الفرقة في صفوف المسلمين ونقل أخبارهم للبيزنطيين. والمفاجأة الكبرى أن سيرة الظاهر بيبرس جعلت من عقبة الجد الأكبر لجوان[٢٣]. وذلك لتأكيد تراث العداوة بين الطرفين عبر الأجيال.

الموافقة الثالث: وصْم الحملات الصليبية باللصوصية. فقد رأت الذاكرة الشعبية -وهي محقَّة إلى حد كبير- أن الأوروبيين قد جاءوا للشرق في عصر الحروب الصليبية لنهب خيراته، وحل مشاكل المجتمع الأوروبي على حساب المسلمين المتنازعين، وهذا الطمع بدأ منذ مجمع كليرمون Council of Clermont حين أشار البابا أوربان الثاني Urban II (٤٨١- ٤٩٢هـ/ ١٠٨٨ -١٠٩٩م) للشرق المسلم بأنه أرض العسل واللبن[٢٤]. وفي خطاب البابا أوربان الداعي للحملة الصليبية الأولى، يشير صراحة إلى أن ممن دُعي للحرب الصليبية الأولى من احترف اللصوصية وأراد البابا تحويل شرِّه للشرق تحت مسمَّى جند المسيح[٢٥]. وبسبب كثرة اللصوص الذين شاركوا في الحملات الصليبية لوحظ انتشار جريمة السرقة بشكل واضح في مختلف الإمارات الصليبية[٢٦].

ومن هنا يتضح أن الذاكرة الشعبية أبتْ على كبار ملوك أوروبا أن يشاركوا في حملة لصوصية، ومن ثم جعلت من شارك جوان في حملته هم جماعة من اللصوص في حين برَّأت كبار الملوك مثل ملك القسطنطينية وأنه لا يقدم على ما يضر ملك مصر، وربما رجع ذلك لحسن العلاقات بين مصر المملوكية والإمبراطورية البيزنطية[٢٧]. وتكاد وجهة النظر الشعبية تتطابق إلى حد كبير فيما أقدمت عليه أوروبا وخاصةً في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، من إرسال جماعات اللصوص والمحتالين مستحقي العقوبة للحج، أي المشاركة في الحملة الصليبية على الشرق، وهو ما نتج عنه ارتفاع معدلات الجريمة في سائر المدن الصليبية[٢٨].

الموافقة الرابعة: اتخاذ حجة إعادة المساجد القديمة لحالها ذريعة لغزو مصر. فقد كانت القدس قبل مقدم الصليبيين تعيش في هدوء ودعَةٍ في ظل انسياب حركة الحج الإسلامي والمسيحي للقدس منذ الفتح الإسلامي للمدينة، ولما نجحت الحملة الصليبية الأولى قام الصليبيون بتحويل المساجد الى كنائس وعلى رأسها المسجد الأقصى وسمُّوه

معبد السيد[٢٩]، غير أن المسلمين عقب حركة الفتوح في ظل حركة الإفاقة الإسلامية، أعادوا هذه الكنائس إلى أصلها الأول كمساجد ومنها المسجد الأقصى نفسه[٣٠] في حين أن الأماكن الأصلية التي كانت كنائس قبل الغزو بقت على حالها، وسمح السلطان صلاح الدين بن أيوب (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧٤-١١٩٣م) ببقاء عدد من رجال الدين الكاثوليك للقيام بأمرها. حدث الأمر أيضًا في دمياط حين دخلها لويس فقام على الفور بتحويل جامعها الكبير إلى كنيسة السيدة العذراء وعيَّنوا لها بطريركًا كاثوليكيًا[٣١]، وكذلك كل المساجد وخاصة الكبيرة[٣٢].

مجمل القول إن السيرة وعت جيدًا استخدام هذه الذريعة كأداة من أدوات إثارة الرأي العام الأوروبي للقيام بحملة عسكرية على الشرق أو على مصر بحكم أنها رأس الحربة في حركة الجهاد الإسلامي لردِّ العدوان الصليبي.

ثالثاً: تكوين الحملة:

جاء في السِّيرة أنهم: "عسكر جرار مكوّن من أربعة ملوك وصحبتهم جوان والبرتقش"[٣٣] وفي سياق غير متصل ذكرت السِّيرة أن الملوك الأربعة هم فرعه وأخوه فرعية والملكان الآخران بولص وحنين وهم لصوص قطّاع طرق، أما جوان فهو من أكابر علماء المسيحية اطلع على صحائف قديمة دوَّنتها الجن باللغة اليونانية عن مستقبل الأيام، وعلم منها أنه سوف يظهر في بلاد المسلمين ملك اسمه بيبرس، يكون وبالاً على المسيحية والمؤمنين بها، ومن ثم أخذ على عاتقه الخلاص من بيبرس قبل أن يجلس على عرش السلطنة ويتمكن من الأمور، فتنكر في ثوب عالم مسلم اسمه صلاح الدين العراقي وتمكَّن بالدهاء والحيلة من الوصول لمنصب قاضي مصر، غير أن أمره قد كشف بعد حين، ففر ومعه بيبرس مخدرا لكن الصالح أيوب خرج واسترجعه كما ذكرنا من جنوة[٣٤].

وبالرغم من عدم وعي الذاكرة الشعبية باسم الملك لويس التاسع قائد الحملة ولا من شاركه من إخوته – روبرت الأول كونت أرتوا Robert I Count of Artois ، وشارل كونت أنجو Charles count Anjou– وألفونس كونت بواتيه Alphonse Count of Poitiers وباقي الأمراء الأوروبيين[٣٥]، فإنه لمس حقيقة تاريخية هي أن الكبار أربعة ومعهم الممثل للبابا أو المندوب البابوي. كما أدركت حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها وهي ضخامة الحملة، ويمكن القول بصفة عامة إن عدد الجيش النظامي الذي تجمع في قبرص

تراوح بين ١٥٠٠٠ و٢٥٠٠٠ مقاتل كان من بينهم ٢٨٠٠ فارس حسبما ذكر جوانفيل Jean de Joinville[٣٦]، وما يمكن تأكيده أن عددًا كبيرًا من غير الفرنسيين قد شارك في الحملة سواء انضموا إليها في قبرص أو لحقوا بها فيما بعد، ناهيك عمَّا لحق بلويس من الفرنسيين بعد استيلائه على دمياط. فقد انضم إلى الحملة في قبرص جماعات من الألمان والنرويجيين والإنجليز والأسكتلنديين، بالإضافة إلى قوات ملك قبرص، وقوات التنظيمات الدينية من داوية واستباريه وغيرهم، بالإضافة لقوات بارونات بلاد الشام الصليبيين[٣٧].

كما أشارت السيرة بشكل واضح إلى التوجيه الديني للحملة سواء في الدعوة لها في أوروبا وهذا ثابت تاريخيًّا منذ مجمع ليون ١٢٤٥م الذي عقده البابا أنوسنت الرابع، وجعل في صدر جدول أعماله الدعوة لحملة صليبية لاستعادة القدس، ودعم الصليبيين في الساحل الشامي بشريًّا وماديًّا[٣٨]، ومن هنا فقد كانت بصمات البابوية قوية في كل مراحل الحملة، كل هذا وعته الذاكرة الشعبية دون الاهتمام بالتفاصيل التاريخية الفعلية إلا أنها لمست لبَّ الحقيقة وإن لم تصرِّح بها.

رابعاً: جغرافية الحملة:

وكما كان العقل الجمعي للمصريين واعيًا بظروف الدعوة للحملة والإعداد لها، كان أيضًا مطابقًا إلى حد كبير فيما يتعلق بالأماكن الجغرافية التي مرَّت بها الحملة، فمن مراجعة سيرة الظاهر بيبرس نجد أن المواضع الجغرافية التي ذكرت، وجرت فيها المعارك كانت دمياط وفارس كور والمنصورة والبركون[٣٩]. وبالفعل فقد بدأت الحملة باستيلاء الصليبيين على مدينة دمياط ثم حاولوا الزحف نحو القاهرة، ومن ثم اجتاحوا قرية فارسكور -من قرى الدقهلية- بسهولة وكانت غير محصنة[٤٠] ومنها حاولوا أخذ المنصورة. أما "البركون" فهي قرية البرامون التابعة للمنصورة حاليًّا وتبعد عن فارسكور ٣٠ كيلومترًا تقريبًا[٤١] وقد كانت معبرًا لمرور حملة لويس وعنها يقول ابن واصل: "في يوم الإثنين لسبع مضيْن من شهر رمضان نزلت الفرنج البرمون، وكثر الاضطراب بسبب دنوهم من عساكر المسلمين"، وكان ذلك في (٨ رمضان ٦٤٧هـ/ ١٤ ديسمبر ١٢٤٩م)[٤٢].

وهكذا كان الوعي الشعبي أكثر إدراكًا للمعالم الجغرافية من الحقائق التاريخية؛ ويمكن أن يفسر هذا الأمر في ضوء أن المعالم الجغرافية لا تتغير بسرعة ومن ثم بقيت هذه المواضع حتى اليوم، ومن الطبعي أن يفتخر سكان هذه المواضع بما جرى عليها من بطولات،

ومن هنا حرص الراوي على ذكر هذه المناطق إرضاءً لجمهور المستمعين، الذين ربما يكون من بينهم أحد أبناء هذه البلاد فيحتج على عدم ذكر بلده، ومن ثم ظلَّت هذه المعالم الجغرافية عالقةً في الذاكرة الشعبية أكثر من الأحداث التاريخية.

خامساً: الجاسوسية:

من الطبعي في ظل أي صراع عسكري أن يحاول طرفا الصراع معرفة ما يخبئه الطرف الآخر، ومن ثم كان اصطناع الجواسيس والإحسان إليهم من أهم الوسائل لهذا الأمر(٤٣)، وقد ظهر هذا جليًا فيما سطَّره راوي الملحمة من أحداث ترجع أصولها لحملة لويس، فجوان الذي لُقِّب بعالم الملة الذي تنكَّر في ثوب الشيخ صلاح الدين العراقي ووصل إلى مصر ووليَ فيها القضاء، كان جاسوسًا أحسن التخفِّي وانطلى فعله على الملك الصالح نجم الدين أيوب -كما تذكر السِّيرة-، غير أنه كُشف ففر بما حمل من معلومات لأوروبا للتدبير للحملة(٤٤). ولا يقل اهتمام سيرة الظاهر بيبرس بقضة الجاسوسية عن اهتمام سيرة الأميرة ذات الهمَّة التي مُلئت بالجواسيس في كل مراحلها، ومن بينهم القاضي عقبة بن مصعب، الجد الأعلى لجوان كما جاء في سيرة الظاهر بيبرس(٤٥).

هذا الأمر يوضح إلى حد كبير ما لمسه الشعب من تغلغل جواسيس أوروبا في البلاط المملوكي سواء من تخفَّى أو عن طريق شراء الذمة بالمال، وكان الظاهر بيبرس خير من اصطنع الجواسيس ووصل جواسيسه للبلاط البابوي(٤٦)، ولم يعدم الصليبيون الوسيلة لاصطناع الجواسيس، وتمكَّنت كتب التاريخ من رصد بعضهم، ومنهم من أخبر لويس التاسع بوفاة الصالح نجم الدين قبل أن يعلم جند الصالح نفسه(٤٧) (٤٧)، وبفضل الجواسيس نما إلى علم الملك لويس أن الجيش المصري يخطط لهجوم على المعسكر الصليبي يوم الخميس (١٤ شوال ٦٤٧هـ/ ٢٠ يناير ١٢٥٠م)، ومن ثمَّ قام بتحصين الموضع المتوقع للهجوم تحصينًا جيدًا، وكان في حراسة كونت أنجو الذي تمكَّن من ردِّ الهجوم بعنف، وأوقع كثيرًا من الخسائر بالمهاجمين(٤٨).

سادساً: تتابع أحداث الحملة:

اهتمت السيرة الظاهرية بتتابع أحداث الحملة من حيث إنها نزلت إلى دمياط، وبقيت فيها فترة من الزمن، حتى جاء جيش مصري بقيادة عز الدين أيبك، غير أنه تعرض للهزيمة،

ففر مع أمرائه للقاهرة، فأخرج السلطان تورانشاه بيبرس من السجن وتحمَّل عنه ديونه، وقاد بيبرس المعركة أمام دمياط، وتمكَّن من هزيمة الفرنج الذين فروا إلى داخل البلاد، حتى وصلوا للمنصورة، وهزموا من وصل إليها، وتتبعوا من فرَّ إلى فارسكور، وهناك قُتل الملوك الأربعة وفر جوان[٤٩].

من هذه الرواية يتضح وعى السِّيرة الشعبية بخط سير الحملة، وبفشل القوات المصرية في منع نزول القوات الصليبية على شاطئ دمياط، ونتج عن ذلك قتل عدد من أمراء المماليك وهروب فخر الدين ابن شيخ الشيوخ[٥٠] للضفة الشرقية للنيل ومنها انسحب للمنصورة[٥١].

وهذا الكلام يكاد ينطبق مع ما روته السِّيرة عن هزيمة الموجة الأولى من القوات المصرية وفرارها، غير أن القيادة كانت في السيرة لعز الدين أيبك بدلاً من فخر الدين[٥٢]. وكذلك التراجع غير المبرر للجيش الأيوبي نحو المنصورة وإخلاء دمياط لا لشيء، غير الطمع في العرش حين فر الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ إلى المنصورة وترك المدينة لمصيرها بعد أن تبعه باقي الجيش[٥٣]. نفس الأمر عرضت به السِّيرة لكن جعلت غفلة أيبك هي السبب[٥٤]. كما عظمت السيرة من دور بيبرس في القتال بأن جعلته يهزم الجيش في دمياط، ثم تتبع ذيولهم في المنصورة وفارسكور، والجزء الأخير يتطابق مع الواقع التاريخي من حيث القتال في المنصورة وفارسكور، غير أنها انتهت بقتل كل الملوك اللصوص وفرار عالم الملة ومعه مساعده برتقشه[٥٥].

سابعاً: فنون الحرب:

اهتمت السِّيرة بموضوع فنون الحرب على نحو جيد، وهذا الاهتمام في محلِّه، حيث إن طريقة إدارة المعركة لها النصيب الأكبر في تحقيق النصر، وقد تجلَّى ذلك في نصب الكمائن لقوات أيبك وكانوا كمائن أربعة -حسب السيرة- قبضت على القادة الذين خدعوا من قبل جوان حين تنكر في زي شيخ الإسلام وأطمعهم في عسكر العدو، كما ذكرت السِّيرة أنهم استخدموا أسلوب الهجوم المباغت على باقي القوات مما ضمن القضاء على القوة الضاربة للجيش المصري[٥٦]. الموضع الثاني للاهتمام بفنون الحرب في الجولة التي قادها بيبرس حين وزع قواته أربع فرق: فرقة في المنصورة، فرقة في فارسكور وفرقة في دمياط وفرقة احتياطية في البراكون، وقد شغلت السِّيرة إلى حد كبير بتذكية البطل بيبرس تمهيدًا لتولِّيه الملك بعد حين، والتأكيد على حقيقة أنه البطل المغوار. ومن هنا قاد الهجوم بنفسه، وكان

موفَّقًا وفي اليوم التالي زاد من الشحذ المعنوي وقاد الهجوم بتعزيز من قوات الوزير مما أدى لشتات قوات العدو[٥٧].

والحقيقة أن طرفي المعركة سواء الفرنجي أو الإسلامي قد استفرغا جهدهما في استغلال ما يمتلكان من فنون حربية؛ لتحقيق النصر المنشود. ومن أمثلة ذلك إستراتيجية الهجوم المباغت، وأخْذ العدو على غِرة التي نفذها الصليبيون بنجاح حين اقتحموا معسكر المسلمين بعد كشفهم مخاضةً سهلة العبور، ونتج عن ذلك مقتل قائد الجيوش الإسلامية الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ[٥٨]. ومن نماذج الفن الحربي الإسلامي جر مقدمة الصليبيين المتقدمة للمنصورة بقيادة كونت أرتوا -أخي الملك لويس- لحرب شوارع مما ساعد على توظيف كل إمكانات المدينة في القضاء عليهم في شوارعها الضيقة التي لا تمكِّن الفارس من العمل على نحو جيد في ظل حرمانه من دعم المشاة[٥٩].

ثامناً: مطاردة فلول العدو:

بدا ذلك من حرْص بيبرس قائد الجيوش في المنصورة من حث قواته على مطاردة فلول العدو بعد الهزيمة، وبالفعل دارت معركة عند المنصورة "فعلوا في الكفار الفعال المشهورة ووقع القتل والنهب، وقد بليت الكفار بالغضب وانهزموا في البر والشعب". بعدها فروا إلي فارسكور ودارت عندها المعركة حامية الوطيس لم يوقفها سوى نزول الليل وفي اليوم التالي تم الإجهاز على ما تبقَّى من قوات العدو[٦٠]. وهذا الحرص على قضية تتبع الفلول الهاربة يوضح مدى حرص الراوي الشعبي على تكامل فصول المعركة التي اختتم بمطاردة من تبقَّى من العدو على قيد الحياة، وكل ذلك من أجل إيضاح مدى حكمة بيبرس في إدارة المعارك، وكيف أنه فالح ويستحق أن يتولى السلطنة في المستقبل القريب.

وهنا نلاحظ اقتراب الرواية الشعبية من الحقيقة التاريخية، حيث قاد بيبرس البندقداري عملية عسكرية واسعة بعد معركة المنصورة وهي معركة جديلة الكبرى كما سمَّاها الدكتور محمد مصطفى زيادة، وكانت يوم الجمعة ٧ ذي القعدة ٦٤٧هـ/ ١١ فبراير ١٢٥٠م. ناهيك عن إغلاق مجرى فرع دمياط، وأسر سفن الإمداد الصليبية، مما أدَّى لسوء أوضاع الجيش الصليبي[٦١]، الذي أخذ ينسحب ببطء شديد بسبب انتشار المرض والجوع حتى أطبق الجيش المصري بقيادة بيبرس البندقداري عند قرية ميت الخولي عبد الله على شاطئ النيل الشرقي[٦٢].

تاسعاً: دوْر بيبرس في الحملة:

عظَّمت السِّيرة دوْر بيبرس في الحملة أيما تعظيم، فقد جعلت عدم مشاركته في القوات المصرية في البداية سبب الهزيمة، حين تم خداع أيبك من قبل جوان، أما بيبرس فقد خرج من السجن ولبَّى نداء الواجب دون توانٍ، وخرج على رأس القوات المصرية، ووضع الخطط المناسبة لإدارة المعركة، من حيث: توزيع القوات أو إدارة المعركة. وهو ما كفل النصر أمام دمياط وفي المنصورة وفارس كور حتى قطع دابر القوات الغازية، وفي خضم المعركة لم يتوقف عن وعظ الملك تورانشاة حتى لا يشرب الخمر حتى ينزل الله النصر على المؤمنين(٦٣).

وبسبب الدوْر الأكبر لبيبرس في تحقيق النصر في المنصورة، وما جلبه للإسلام والمسلمين من انتصارات في عين جالوت وكذلك بعد ولايته للسلطنة، كل ذلك جعل السيرة الشعبية تنسب إليه فضل الانتصار، وحسن إدارة المعارك، متجاهلة لباقي المماليك المعاصرين فيما خلا أيبك لتلصق به كل نقيصة.

والحقيقة أن بيبرس كان رجل الأقدار، إذا وُكل قائد فرقة المماليك البحرية أقطاي بأمر الخروج للإتيان بتورانشاة ليتولى السلطنة من حصن كيفا، ومن ثم آلتْ قيادة المماليك البحرية لبيبرس البندقداري الذي تمكَّن بثاقب نظره من إعداد خطة ممتازة للإجهاز على الصليبيين في المنصورة، بموافقة شجر الدر، وبالفعل فتح أبواب المدينة وتركها وكأنها خالية، وهو كامن بعد أن أمر الأهالي بإخلاء الشوارع وانتظار الأمر بالقتال، وتم الأمر بعد تغلغل القوات الصليبية بقيادة كونت أرتوا أخو لويس، فما أن دخلوا المدينة حتى صاروا صيدًا سهلاً في الشوارع الضيقة، واشترك المماليك والشعب في الإجهاز عليهم(٦٤).

عاشراً: دوْر تورانشاه في المعركة:

وقرَ في الذاكرة الشعبية أن الصالح نجم الدين أيوب قد توفي قبل الغزو الصليبي، وأن ولده عيسى تورانشاه قد اختير لتولي العرش من قِبل المماليك بسبب رفض بيبرس تولى السلطنة، ومن ثم تم استدعاؤه ووصل بالفعل على مصر، وتولى الحكم. وتؤكد السِّيرة سعاية المماليك مرارًا للخلاص من بيبرس؛ بسبب ما حقق من نجاح، ومن ثم أوقعوا بينه وبين تورانشاه، وأفلحوا في وضعه في السجن، ومع مجيء الحملة اقتصر دوره على توجيه القادة بدءًا من أيبك الذي هزم وعاد مع قواته، فلم يكلف الملك نفسه حق توبيخ المهزومين، ثم إطلاق سراح بيبرس لقوم بنفس المهمة وكل مشاركته كانت في برج خشبي تفرج من خلاله على

القتال. كما أظهرت السيرة الشعبية تورانشاه سكيرًا لا يترك الشرب، وأظهرت بيبرس في ثوب المحافظ على الشرع المستحق للعرش. وفي النهاية برَّأت السيرة بيبرس من دم تورانشاه الذي سقط من فوق برج خشبي أثناء متابعته للمعركة فخرَّ قتيلاً، وكاد بيبرس يُقتل بسبب ذلك حين اتهمه الأمراء بأنه هو من ألقاه من فوق البرج غير أن العناية الإلهية أنقذته حين قام تورانشاه من موته وأخبر أن بيبرس بريء ثم عاد للعالم الآخر(٦٥).

ومن خلال هذه الرواية يتضح لنا: اتفاق الرواية الشعبية مع المصادر التاريخية في تسفيه تورانشاه، إذ وصفته المصادر بأنه كان عديم الخبرة سيء التدبير كثير الشراب، ومن ثم أبعده الملك الصالح عن مصر، وولَّاه ديار بكر في أقصى شرق مملكته حتى يكفَّ شره(٦٦). وكان تورانشاه سكيرًا عربيدًا "سيء التدبير ذا هوج وخفَّة" كما وصفه ابن الجوزي(٦٧)، كما أحضر معه من ديار بكر مجموعة من الندماء خصهم بالإقطاعيات دون المماليك المصريين، وأخذ يعد للخلاص من المماليك بعد ارتفاع شأنهم عقب النصر على الصليبيين، ومن هنا تسربت أنباء سكره وضربه الشموع بالسيف، وتسمية كل منها باسم أحد الأمراء، ومن هنا قرر المماليك الخلاص منه قبل أن يسبقهم، كما أساء تورانشاه لشجر الدر التي أدارت البلاد حتى عاد، وكانت نهايته في برج خشبي حين هجم عليه المماليك، ففر إليه مجروحًا فأشعلوا فيه النار فسقط في الماء ليموت جريحاً حريقًا غريقًا(٦٨). وقد أكَّد ابن واصل أن بيبرس البندقداري هو أول من ضربه حين قال: "دخل ركن الدين بيبرس البندقداري .... فجذب سيفه وحمل على المعظم فجرحته جرحًا خفيفًا، ورمى ركن الدين بيبرس السيف من يده رعبًا وهرب" وأوى أقطاي إلى برج خشبي فأشعلوا النار فيه، حتى نزل واستجار بأقطاي " قصده حينئذ ركن الدين بيبرس ثانية وبيده السيف فمر يعدو إلى جهة النيل .... تبعه ركن الدين بيبرس فضربه بالسيف فقتله"(٦٩).

ومن هنا ندرك توافق الرواية الشعبية مع الرواية التاريخية في نهاية تورانشاه أنها كانت نهاية غير طبيعية نتاج سوء فِعاله. فالرواية الشعبية ترى أنه مات حين سقط من البرج على رأسه أثناء متابعته للمعركة ومحاولة احتساء الخمر فحذره بيبرس لكنه سقط ومات(٧٠)، وكأن الرواية الشعبية تريد أن يكون بيبرس بريئًا من دم تورانشاه حتى لو كان سكيرًا عربيدًا فهو ملك المسلمين، ولا يحل دمه وإن حل تقويمه، وقد ذكرت السيرة أن بيبرس ضبطه متلبسًا بشراب فجلده في حجرة صيانة لحدود الله وحفظًا لسمعة ملك المسلمين.

حادي عشر: دوْر الشعب:

بالرغم من شهرة الدوْر الشعبي في مقاومة الحملة الصليبية فإن السيرة الظاهرية لم تذكر شيئًا من هذه البطولات. وربما يرجع ذلك لإنكار الشعب لنفسه، من أجل التمهيد لصعود البطل بجانب أن الدور الشعبي بالرغم من أهميته كان عديم القيمة بلا قوة المماليك الضاربة بعد أن أُجبر على ترك حمل السلاح بشكل نظامي منذ عصر البطالمة[٧١] (٧١)، ومن ثمَّ رأى الراوي الشعبي أن يوجِّه كل عنايته لتلميع بيبرس البطل المنتظر، وهذا درس يقدمه الشعب المصري بنكران الذات من أجل الصالح العام، فلا يمكن لأمة أن تنهض إلا بالقيادة الحكيمة التي تقود الأمة للتقدم.

وإذا كانت السِّيرة قد قدمت درسًا في نسيان الذات من أجل الزعيم الذي يقوم الأمة، فقد أشار المؤرِّخ الفرنجي المجهول لذلك الدوْر منذ وقت مبكر من احتلال الصليبيين لدمياط[٧٢]. كما أشار ابن واصل للدوْر الذي قام به العامة والمهمشون في معركة المنصورة حين قال:" وجاء إلى المنصورة من الرجالة والحرافشة والغزاة والمطوعة من سائر النواحي خلق كثير لا يقع عليهم الإحصاء. ووردت من العربان أمم كثيرة وشرعوا في الإغارة على الفرنج ومناوشتهم.... وفي يوم الاثنين سلخ ربيع الأول ورد إلى القاهرة من أسارى الفرنج الذين تخطفتهم العربان وغيرهم، ستة وأربعون أسيرًا منهم فارسان"[٧٣] "وكان الفرنج يجدون من حرافشة المسلمين أذى كثيرًا، ويتخطف الحرافشة منهم ويقتلون، فإذا شعر الفرنج بهم رموا بأنفسهم في الماء، وسبحوا إلى أن يخرجوا من جانب المسلمين، وكانوا يتخطفون منهم بكل حيلة" وبلغني أن إنسانًا منهم قور بطيخة وجعلها ملبسة على رأسه ثم سبح في الماء وقرب من الفرنج حتى ظنه بعضهم أنه بطيخة طافية على الماء فنزل ليتناولها ذلك الشخص وأسره وأتى به إلى المسلمين" [٧٤]. أما في موقعة المنصورة الشهيرة فقد كان لعامة سكان المنصورة دور لا يُنكر حين أسهموا في الإجهاز على الصليبيين فرسانًا ورجالة، وكانت أدواتهم في ذلك بسيطة عبارة عن شماريخ وعصي غليظة أو كتل خشبية أو طوب أو حجارة أو حتى الطين والتراب، حتى شبابيك البيوت استخدمت في القضاء على القوة الفرنسية المهاجمة[٧٥].

الخاتمة:

بعد دراسة القراءة الشعبية المصرية للحملة الصليبية السابعة كما بدت في سيرة الظاهر بيبرس، والنظر في مدى قربها أو بُعدها من النصوص التاريخية، نخلص إلى النتائج التالية:

١. أن الراوي الشعبي وقرَ في مخيلته حقيقة تاريخية مؤداها أن مصر هي درع الإسلام وقلبه المستهدَف، ومن هنا ترك التفاصيل التاريخية المتعلقة بالقدس والشام ليركز على هذه الحقيقة فأبرزها في قالب درامي يُرضي السامعين ويشعرهم بالعزة.

٢. أن راوي السيرة كان مدركًا إدراكًا تامًّا للجهود الكبيرة التي تمت في أوروبا لخروج حملة ضخمة مثل حملة لويس، ومصدر هذا الإدراك ما لاحظه عامّة المصريين من عدد المشاركين في الحملة، وقدر المآسي التي عرضت مصر لها، وهذه الجهود تتمثل في الدعوة للحملة وتدبير التمويل وتوفير وسائل النقل. كل ذلك وعته الذاكرة الشعبية وعبَّرت عنه بطريقتها الدرامية السمهرية التي تصبُّ في النهاية في الغرض الأساسي للسيرة، وهو تمجيد البطل بيبرس الذي تمكَّن بحكمته وتدبيره من القضاء على هذا الخطر الداهم.

٣. ووقرَ في ذهن الراوي الشعبي أن الحملة كانت ضخمة، شارك فيها عددٌ من الملوك، بتوجيه من البابا، وهذا يقترب من الحقيقة التاريخية إلى حد كبير، وسبب ذلك كما يبدو لنا تدين لويس وتبعية باقي القادة له سواء من الساحل الشامي أو من قدَمَ معه من أوروبا.

٤. أما فيما يتعلق بالمواضع الجغرافية التي جرت فيها أحداث الحملة فقد كان الوعي الشعبي أكثر إدراكًا لها من الحقائق التاريخية، وربما يكون سبب ذلك أن الجغرافية لا تتغير بسرعة، ومن ثم بقيت هذه المواضع حتى اليوم، ومن الطبعي أن يفتخر سكان هذه المواضع بما جرى عليها من بطولات، ومن ثم ظلت عالقة في الذاكرة الشعبية أكثر من الأحداث التاريخية.

٥. أدرك الراوي الشعبي الدوْر المهم للعيون والجواسيس في الصراع الإسلامي الفرنجي، ومدى الضرر الذي لحِق بالجيوش الإسلامية من جرَّاء ما سربته هذه العيون من أخبار، وعبَّر عن تغلغل هؤلاء الجواسيس في البلاط الحاكم بشكل وصل لحد التشكك في كبار رجال الدولة حتى ذوي المناصب الدينية منهم. كما بدا من شخصية القاضي

صلاح الدين العراقي الذي ظهر فيما بعد أنه جاسوس له مهمة تصفية البطل الرمز بيبرس الذي نجته العناية الإلهية.

٦. رسخ في الذاكرة الشعبية تتابع أحداث الحملة غير أنها جعلت انتصارات بيبرس تبدأ من دمياط وليس من المنصورة، ربما سعيًا للتعظيم من دور بيبرس ليظهر بمظهر الناجح فيما فشل فيه الآخرون في نفس المواضع وليست مواضع أخرى.

٧. لم تهمل الذاكرة الشعبية أهمية فنون الحرب في حسْم الصراع العسكري وطابقت الواقع في تفوق الفن العسكري الإسلامي على الفن العسكري الفرنجي في هذه المعركة، وإن عرضته بشكل ساذج يتناسب مع عقلية المستمعين الذين يصعب عليهم فهم التشكيلات العسكرية المعقدة.

٨. كما لم يغب عن الذاكرة الش أهمية القضاء على فلول الجيش المهزوم حتى يكتمل النصر، وقد جعل فصل الختام عند فارسكور، وهو ما يقترب إلى حد كبير من الواقع التاريخي.

٩. نجح الراوي من خلال من ألقاه من ظلال على الحملة أن يحقق الهدف من سوقها، وهو رفع مكانة ومكان بيبرس عاليًا، حتى يؤكد أنه رجل الأقدار المؤيد من السماء، وكل ذلك لتأكيد استحقاقه الطبيعي للعرش في ظل فقدان النظراء.

١٠. لم تنسَ الذاكرة الشعبية أن تورانشاه هو من وضع اللمسات الأخيرة للإجهاز على الحملة الصليبية السابعة وأسر الملك لويس، لكنها لم تنسَ أيضًا سوء إدارته وتصرفه، وخاصة إدمانه للشراب وإساءته للمماليك، غير أنها برَّأت بيبرس من دمه حتى لا تتلوث يد البطل الرمز بدم ملك المسلمين، بالرغم من أن بيبرس كان أول من مد يده بالسلاح على تورانشاه، وفيما بعد قتل قطز، لكن الراوي الشعبي يريد أن يرسل رسالة للمستمعين أن البطل الرمز يحترم الجالس على العرش لأبعد حد.

١١. في غمرة انشغال الراوي الشعبي برفع قدر وتعظيم دوْر بيبرس، نسى أو تناسى دوْر عامة الشعب الذي لم ينكر وسجَّلته كتب التاريخ الرسمية، وغالب الأمر أنه أراد أن يؤكِّد أن بطولات الشعب هي جزء من بطولات البطل، فهو رمز العزة ومصدر الفخار وكل ما حوله مساعد له، كما أراد أن يرسل رسالة للمستمعين بإنكار الذات من أجل الوطن ومن ثم ترك أمر البطولات الشعبية.

قائمة المختصرات

J. A = Journal Asiatque
RHC-Occ = Recueil des Historiens des Croisades Historen Occidentaux.
RHES= Revue d'histoire économique et sociale

حواشي البحث

- مدرس التاريخ الإسلامي كلية التربية جامعة مطروح.

(١) من الدراسات العربية: حسن حبشي، الشرق الأوسط بين شقّى الرَّحى حملة القديس لويس على مصر والشام، (القاهرة: ١٩٤٩م)؛ محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة ١٩٦١م؛ جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على مصر، (الإسكندرية: دار الكتب الجامعية، ١٩٦٧م)؛ محمد مصطفى هدَّارة، المنصورة قصة البطولة العربية وهزيمة لويس التاسع، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م)؛ حياة ناصر الحجي، السياسة الصليبية للملك القديس لويس التاسع، (الكويت: ١٩٨٣م)؛ حسين السيد النحال، الحروب الصليبية أواخر العصور الوسطى ضد مصر وتونس من ١٣٦٥إلى ١٤٠٧م، (رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٩١م)، ص٨٦- ص٢٥٦؛ هشام الحسيني، السياسة الخارجية لفرنسا في عهد لويس التاسع ١٢٢٦- ١٢٧٠م، (رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة حلوان عام ٢٠٠٠م)؛ سيمون للويد، حملتا القديس لويس الصليبيتان، عادل زيتون، الثقافة العالمية، العدد (٨٧) مارس – إبريل ١٩٩٨م؛ إدوين جون رديفز، فرنسا الجريحة على ضفاف النيل، ت. زكى شنودة، (القاهرة: مطبوعات كتابي، ب. ت). ومن الدراسات الأجنبية:

التاريخي تقفز فوق التفاصيل، وعلاقة الزمان والمكان، ولا تهتم سوى برسم صورة كلية حبلى بكل الرموز الاجتماعية والثقافية، كما تحرص على بلورة موقفها التاريخي إزاء الحدث، وهذه الصورة الشعبية غالبًا ما تحمل وعي الجماعة بذاتها، وتختزن في طيات أحداثها الخيالية كثيرًا من المضامين التاريخية؛ ولهذا تبرز أهمية اعتماد المؤرِّخ على الموروث الشعبي. إلى جانب مصادره التقليدية، وذلك للمزاوجة بين هذين النوعين من المصادر يساعد المؤرِّخ على استيعاب الظاهرة التاريخية ورسم صورة كليَّة لها.

انظر: قاسم عبده قاسم، بين الأدب والتاريخ، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٦م)، ص ص١٤٠-١٤١؛ عمرو منير، الأساطير المتعلقة بمصر، ص١٠؛ محمد فوزي رحيل، "بين التاريخ والفلكلور، صلاح الدين الأيوبي في سيرة الظاهر بيبرس، (مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية كلية الآداب، جامعة المنوفية)، الإصدار ٤٠، إبريل، ٢٠١٠، ص٢٧٣.

(٤) سيرة الأميرة ذات الهمَّة وولدها عبدالوهاب، (بيروت: المكتبة الشعبية، د.ت) سبعة أجزاء، وانظر أيضًا: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمَّة دراسة مقارنة (القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ت)؛ شوقي عبدالحكيم، الأميرة ذات الهمَّة أطول سيرة شعبة في التاريخ (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م)؛ الأمين أبو سعدة، "بيزنطة في الملاحم الشعبية العربية، قراءة في سيرة الأميرة ذات الهمَّة"، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠٠١م، ص ص٢٧٣-٣١٧.

(٥) يري الباحث الفرنسي فرانسيس جينل Frances Jenell أن السِّيرة الشعبية للظاهر بيبرس لها ثلاثة روافد: قاهري، وحلبي، ودمشقي، وهذه الروافد لا تختلف كثيرًا من حيث القصة أو الحبكة، لكن هناك اختلافات طفيفة من جراء اختلاف جغرافية المكان وثقافة الرواة. انظر: سوزان إبراهيم، بيبرس آخر السَّير الشعبية- اختفاء الحكواتية أوقف الإضافات، صحيفة الثورة، دمشق، الأحد ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٩م. والمقال هو تقرير عن المحاضرة التي ألقاها الباحث الفرنسي في المركز الثقافي الفرنسي بدمشق. وانظر أيضًا: محمد فوزي رحيل، بين التاريخ والفلكلور، ص ص٢٧٤، ٢٧٣.

(٦) سيرة الظاهر بيبرس، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م)، ج٢، ص ص٩٧٣- ١٠٨٠.

(٧) كان للتصوف مكانة كبيرة في مصر وخاصةً منذ نشأة الدولة الأيوبية؛ بسبب استعانة صلاح الدين الأيوبي بالمتصوفة للقضاء على المذهب الشيعي مذهب الدولة الفاطمية، وتمكين المذهب السني مذهب الدولة العباسية، ومن هنا صار للعبَّاد المتصوفة مكانة كبيرة، حتى ازدانت بهم مجالس الملوك وشاركوا في الغزوات والمعارك للتبرُّك بهم، ومن ثم لم يكن من الغريب أن يلتفوا حول الصالح أيوب الذي رحَّب بهم مثل أسلافه. واتسع الخيال بالعامة لتجعل الصالح نفسه أحد المتصوفة، ولم يكن ذلك من فراغ، فقد مال الصالح للزهد والوحدة، وكانت له مهابة كبيرة في قلوب أصحابه ومن يلقاه. انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج٦، ص٨٤؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٤٠؛ محمد محمد أمين، الملك الصالح نجم الدين أيوب ١٢٤٠-١٢٤٩هـ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٨م، ص ص١٩١-١٩٨.

(٨) جنوة: تقع جنوة على الساحل الشمالي الغربي لشبه الجزيرة الإيطالية، وكانت من أهم الجمهوريات التجارية في زمن الحروب الصليبية، ومن أسرعها مشاركة في هذه الحرب العالمية، وفي الوقت نفسه كان لها علاقات تجارية قوية بمصر.

Favreau (Marie), Genoa, in: *The Crusades an Encyclopedia*, vol. III, ed. Alan Murry, California, pp.501-505.

انظر: مصطفى الكناني، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى، (الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م)؛ محمد فوزي رحيل، نهاية الصليبيين، (القاهرة: عين للبحوث والدراسات الإنسانية، ٢٠٠٩)، ص ص١٧٩-١٨٠. وبسبب أهمية جنوة عدها القلقشندي رابع ممالك الفرنج، وقال عنها: "وهم طائفة من الفرنج مشهورة. وقاعدة ملكهم مدينة جنوة. قال في تقويم البلدان: بفتح الجيم والنون والواو ثم هاء في الآخر. وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد: حيث الطول إحدى وثلاثون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة. قال وهي غرب جون عظيم من البحر الرومي، والبحر فيما بينها وبين الأندلس يدخل في الشمال. وهي غرب بلاد البيازنة. قال الشريف الإدريسي: وبها جنات وأودية، وبها مرسى جيد مأمون" انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٥م)، ج٥، ص ص٤٠٥-٤٠٦.

(٩) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص ص٩٣٠-٩٦٠. ربما كان للهجمات الفاطمية الباكرة على جنوة صدى في صياغة الرواية الشعبية. فمن الثابت تاريخيًّا إرسال الخليفة الفاطمي الثاني القائم بأمر الله (٣٢٢-٣٣٤هـ/ ٩٣٤-٩٤٥م) حملة عسكرية لغزو جنوة بقيادة يعقوب بن إسحق، وكان قوام الأسطول الفاطمي ثلاثين مركبًا حربيًّا تمكن من مهاجمة جنوة، كما دمَّر وأحرق سردينيا، وعاد الأسطول الفاطمي محملاً بالغنائم للمهدية عاصمة الفاطميين الباكرة قبل تحولهم للقاهرة. بعدها هبت كثير من القوى لمساندة جنوة لبناء أسطول ساعد على ميل ميزان القوى في المنطقة لصالح الجمهوريات الإيطالية. انظر: المقريزي (أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج١، تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م)، ص ٧٤؛ مصطفى الكناني، العلاقات بين جنوة والفاطميين، ص ص٨٩، ٩٠.

(١٠) السبب المباشر لحملة لويس التاسع أو الحملة الصليبية السابعة هو الهزيمة الساحقة التي ألمَّت بالصليبيين وحلفائهم من المسلمين، في موقعة الحربيبة ١٢٤٤م على يد السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وحلفائه الخوارزمية، وتبعه استعادة القدس التي كانت في أيدي الصليبيين منذ اتفاقية يافا (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)، ومن هنا انتفضت أوروبا لاسترداد القدس، وكان لويس التاسع على رأس الغزاة وفاءً لقسمه الذي قطعه على فراش المرض. حول معركة الحربيبة انظر: ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق

حسنين محمد ربيع، القاهرة، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٧م)، ج٥، ص ص٣٣٦-٣٤٥؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ص٣١٥- ٣١٨؛ مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري لمؤلف، ترجمة أسامة زكي زيد، (الإسكندرية، ١٩٨٩م)، ص ص١٢٧-١٣٦؛ جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على مصر، ص ص٤٧-٥٠؛ محمد فوزي رحيل، معركة الحريبية ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثاني، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ص١٢٥-١٦٣.

Jackson (Peter), *The Seventh crusade 1244-1254*, Sahgate, England, 2007, p. 17.

(١١) كان هدف الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م مصر لكنها انحرفت للقسطنطينية، وجاءت الحملة الصليبية الخامسة إلى مصر واستولت على دمياط عام ١٢١٨م وكلّلت بالفشل ثم الحملة الصليبية السابعة وتحطمت في المنصورة. انظر: روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة: دار المعارف،١٩٦٤م) ص٣٩؛ ستيفن رنسيمان، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٩٧م)، ج٣، ص ص١٩٥-٢٠٤، ٤٣٩-٥٠٤؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ص١٨٣-١٩٠، ٢٠٩-٢٢٥، ٢٨١-٣٠٠؛ أسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، (الإسكندرية: دار المعارف، ١٩٨٢م)، ص ص١١-٢٢.

(١٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٢٠٩.

(١٣) جوزيف نسيم، "علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية في ضوء وثائق صبح الأعشى"، ضمن كتاب :دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م)، ص٨٦؛ مصطفى حسن محمد الكناني، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى، (الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م)، ص ص٥٣-٥٤.

S. Epstein, *Genoa and Genoses 958-1528*, University of North Carolina Press, 1996, p.24.

(١٤) أبو يعلى حمزة بن القلانسي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، (القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت)، ص ١٣٩؛ أبو الحسن علي بن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تصحيح محمد يوسف الدقاق، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، ج٩، ص٤٩٤؛ هنادي السيد، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلدوين الأول، (القاهرة: دار العالم العربي، ٢٠٠٨م)، ص ص٤٨-٤٩.

(١٥) Une charte de nolise de S. Louis, Archive de Orient Latin, vol. II, Paris, 1884, pp. 232-236.؛ جوزيف نسيم، العدوان الصليبي، ص٦١.

(١٦) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص٩٨٢.

(١٧) Fulcher of Charters, History of expedition to Jerusalem, trans by sister Frances Rita Ryan, A Thesis submitted to the Faculty of the Graduate school of the University of Minnesota, 1916, p.8.؛ أندرو هويتكروفت، الكفار تاريخ الصراع بين عالم المسيحية وعالم

الإسلام، ترجمة، د. قاسم عبده قاسم، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣م)، ص٢٤.

(١٨) Jackson (Peter), The Seventh Crusade, p.21. لمزيد من التفاصيل حول دور رجال الدين الكاثوليك في الدعاية للحرب الصليبية انظر: مي محمد وفا، الدعاية زمن الحروب الصليبية، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ٢٠١٨م)، ص ص١٠٥ -٢٠٥.

(١٩) مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري، ص ص١٣٨-١٣٩؛ قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، (القاهرة: عين للبحوث والدراسات الإنسانية، ١٩٩٣م)، ص٢٦.

(٢٠) Matthew Paris, English History, Vol II, trans. by Giles, London, 1853, p.64-73. وانظر أيضًا: جوزيف نسيم، العدوان الصليبي، ص ص٥٤، ٥٥.

(٢١) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص٩٨٢.

(٢٢) ظهرت شخصية القاضي المزيف عقبة بن مصعب في مختلف أجزاء سيرة الأميرة ذات الهمَّة: انظر على سبيل المثال: سيرة الأميرة ذات الهمَّة، ج١، ص ص٧١٣، ٧٢٠، ج٢، ص٥٩٠، ج٣، ص٧١.

(٢٣) سيرة الظاهر بيبرس، ج١، ص٧٥؛ نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمَّة، ص ص١٠٦، ١٠٧؛ الأمين أبوسعدة، بيزنطة في الملاحم العربية، ص٢٥٩.

(٢٤) The First Crusade, the Chronicle of Fulcher of Charters and others sources, ed. By Edward Peters, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1998, p.28.؛ قاسم عبده قاسم: الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق، (القاهرة: العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م)، ص٧٩؛ محمد مؤنس عوض، تاريخ الصليبيات، ص٧٩.

(٢٥) يقول أوربان في خطبته :"فليبادر أولئك الذين اعتادوا شن الحرب الخاصة ضد المؤمنين بالمسير ضد الكفار في حرب يجب أن تبدأ الآن لتنتهي بالنصر. وأولئك الذين ظلوا لوصوصًا فترة طويلة ينبغي أن يتحولوا الآن إلى جنود المسيح".
Fulcher of Charters, History of expedition to Jerusalem, p.8.
قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى، ص ٧٥. وممن اصطحبهم لويس في حملته كاهن قاتل ثلاثة ليكفِّر عن ذنبه، وعن ذلك يقول جوانفيل فقال الملك: "أيها الكاهن لقد خسرت كهنوتك ببطشك، وإني من أجل قوتك أضمك لخدمتي وستذهب معي في حملتي الخارجية" جوانفيل، سيرة القديس لويس، ص٩٢.

(٢٦) *Eracles, L'Estoire d'Eracles Empereur et la Conqueste de la Terre d'outermer* , in RHC-Occ, tome II, p.44.؛ انظر أيضا: محمد فوزي رحيل، نهاية الصليبيين، ص ص٢١١، ٢١٢.

(٢٧) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، (الرياض: ١٩٧٦م)، ص١٤٠؛ عبدالجواد، "علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية"، مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، عدد ٤٦، ٤٧، ١٩٨٦م، ص ٦٦.

(٢٨) *Eracles, L'Estoire d'Eracles*, p.444.؛ انظر أيضًا: محمد فوزي رحيل، نهاية الصليبيين، ص٢١٢. وقد ألقى الزميل الدكتور أحمد عبدالله أضواء كاشفة على تفشي الجرائم بمختلف أنواعها في المجتمع الصليبي في بلاد الشام. انظر: أحمد عبدالله أحمد، الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرن ٦-٧هـ / ١٢-١٣م، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠١٦م).

(٢٩) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)، ج٢، ص ص١٢٦-١٢٧.

(٣٠) ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م)، ص١٣٥.

(٣١) جوانفيل، سيرة القديس لويس، ص١٠٢.

J. Michaud, The History of the Crusades, II, trans. By Robson, New York, 1891, p.386؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٢٨٩.

(٣٢) يقول المؤرِّخ المجهول عن ذلك: "ودخل الملك دمياط في تواضع وسط احتفال كبير، وقام بتحويل المساجد الرئيسية للمدينة، وكل المساجد الأخرى إلى كنائس تمجيدًا لسيدنا يسوع المسيح". تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٥٦.

(٣٣) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص٩٨٢.

(٣٤) نفسه، ص٩٤٤.

(٣٥) جوانفيل، سيرة القديس لويس، ص ٧٥؛ مجهول، تتمة وليم الصوري، ص١٦٣.

(٣٦) سيرة القديس لويس، ص٩١.

(٣٧) Jackson (Peter), The Seventh crusade, p.63; Strayer, "The Crusades of Louis IX", p.497؛ محمد فوزي رحيل، نهاية الصليبيين، ص٢٤.

(٣٨) Matthew Paris, English History, Vol II, p.67؛ انظر أيضًا: جوزيف نسيم، هزيمة لويس، ص٥٤.

(٣٩) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص ٩٧٨ -٩٨٢. دمياط: من ثغور مصر القديمة، تقع على الشاطئ الشرقي لفرع النيل الشرقي أو فرع دمياط، وبينها وبين المصب ١٥كم. انظر: محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠م)، ج٢، ص٨. فارسكور: من قرى مصر قرب دمياط من أعمال الدقهلية. انظر: محمد رمزي، القاموس الجغرافي، ج٢، ص٢٤٤. المنصورة: تقع عند مفترق النيل إلى دمياط وأشموم وبينهما جزيرة تُسمى البشمور، على رأس بحر أشموم قبالة طلخا، بناها الملك الكامل محمد بن العادل الأيوبي عام (٦١٦هـ/ ١٢١٩م)، لتكون قاعدة متقدمة للدفاع عن القاهرة في فترة الحملة الصليبية الخامسة، عقب احتلال دمياط. انظر: محمد رمزي، القاموس الجغرافي، ج٢، ص ٢١٥.

(٤٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٦، ص١٠٧؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٤٦.

(٤١) محمد مصطفى زيادة، حملة لويس، ص١٣٢.

(٤٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٠٨؛ محمد مصطفى زيادة، المرجع السابق، ص١٣٢.

(٤٣) عبد الله عيد كمال، التجسس في العصريين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المن عبدصورة، ٢٠١١م، ص١.

(٤٤) سيرة الظاهر بيبرس، ج١، ٢.

(٤٥) سيرة الأميرة ذات الهمّة ، ج١، ص٨٦٥؛ سيرة الظاهر بيبرس، ج١، ص٣٢٤؛ الأمين أبو سعدة، بيزنطة في الملاحم العربية، ص٣١.

(٤٦) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٣٣٦؛ محمد فوزي رحيل، نهاية الصليبيين، ص ص٣١٩-٣٢٠.

(٤٧) مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٦٨؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٢٩٢.

(٤٨) جوانفيل، سيرة القديس لويس، ص١٢٩ ؛ محمد مصطفى زيادة، حملة لويس، ص ص١٣٨-١٣٩.

(٤٩) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص ص٩٨٢-٩٨٤.

(٥٠) فخر الدين بن شيخ الشيوخ: هو فخر الدين يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ، أتابك جيش الصالح نجم الدين أيوب. قام بتدبير أمور السلطنة عقب وفاة الملك الصالح بالاتفاق مع شجر الدر زوجة السلطان، وخادمه الشخصي الطواشي جمال الدين محسن، بعدما اتفقوا على إخفاء خبر وفاة السلطان أيوب لحين وصول ولده تورانشاه. لكن لم يطل العمر بفخر الدين، إذ لقي ربه شهيدًا حين قُتل على إثر هجوم مفاجئ على معسكر المسلمين، من قبل فرقة من جيش لويس بقيادة روبرت أرتو شقيق لويس، وذلك في الخامس من ذي القعدة ٦٤٧هـ / الثامن من فبراير ١٢٥٠م. ابن واصل، مفرج الكروب، ج٦، ص١١١؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٤٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٦٣.

(٥١) المقريزي، السلوك، ج ١- ق٢ ، ص٣٣٥؛ سعيد عاشور، ج٢، ص٢٨٨.

(٥٢) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص ص٩٧٩-٩٨٠.

(٥٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٣٥.

(٥٤) Jackson (Peter), The Seventh crusade, p.125.

(٥٥) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص ص٩٨٤-٩٨٥.

(٥٦) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص٩٨٤.

(٥٧) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص٩٨٠.

(٥٨) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص ص٩٨٢-٩٨٤.

(٥٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٦، ص ١١١؛ المقريزي، السلوك، ج، ق٢، ص٣٤٩؛ مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٧٦..Jackson (Peter), The Seventh crusade, p.143

(٦٠) جوانفيل، سيرة القديس لويس، ص ص١١٤-١١٥؛ المقريزي، السلوك، ج، ق٢، ص ص٣٥٠-٣٥١؛ زيادة، هزيمة لويس، ص ص١٥٦-١٥٨.

(٦١) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص ص٩٨٣-٩٨٤.

(٦٢) عن ذلك يقول المؤرِّخ المجهول :"أخذت مراكب لنا كانت تحمل اللحم من دمياط إلى معسكرنا. فقد مُني الصليبيون بخسائر أخرى، إذ كان الصليبيون في دمياط قد أرسلوا قافلتين من المراكب بلغ عددها ١٠٦ مراكب أو أكثر محملة بالخمر والنبيذ والدقيق ولحم الخنزير وأشياء أخرى مخصصة لمعسكرنا، كما كانت تحمل أيضًا البحارة والرجال المسلحين. وبينما كانت تسير في البحر هجمت عليها مراكب المسلمين وهزمتها، وقتل المسلمون الكثير من بحارتها، وأسروا الآخرين، واستولوا على المراكب، وأرسلوا اللحم على معسكر المسلمين، رغم أنه كان لديهم ما يكفيهم". انظر: تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٨٧.

(٦٣) مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٨١؛ زيادة، هزيمة لويس، ص ص١٧٤-١٩٧.

(٦٤) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص ص٩٨١-٩٨٤.

(٦٥) جوانفبل، سيرة القديس لويس، ص ص١٢٧- ١٣٦؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٦، ص ص١١١، ١١٢؛ زيادة، هزيمة لويس، ص ص١٥٥-١٥٧؛ بيتر ثوراو، أسد مصر السلطان الظاهر بيبرس والشرق الأدنى، ترجمة قاسم عبده قاسم، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ٢٠١٥م)، ص ص٦١-٧٢.

(٦٦) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص ص٩٦٧-٩٨٥.

(٦٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٦، ص١٠٠؛ مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٦٩؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٢٩١.

(٦٨) (أبو محمد يوسف قزاوغلي، ت ٦٥٤هـ /١٢٥٥م)، مرآة الزمان، ج٨، نشر جيمس ريتشارد، (نيويورك: ١٩٠٧م)، ص٥١٩.

(٦٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٦، ص ص١٢٨-١٣٠؛ ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص ص٥٢٠-٥٢١؛ ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ص٣٧٠-٣٧١؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٣٠٢.

(٧٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ص ص١٢٩-١٣٠.

من مراجعة مدونة المؤرخ المجهول ندرك أن معلومات الصليبيين كانت قليلة فيما يتعلق بالأوضاع في معسكر المسلمين، وظروف مقتل تورانشاه، كما أن كثيرًا من الأمور المشهورة حول طيش تورانشاه لم يوجد لها صدى في المصادر الصليبية. انظر: مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري، ص ص٢٠٢-٢٠٣.

(٧١) سيرة الظاهر بيبرس، ج٢، ص ص٩٨٤-٩٨٥.

(٧٢) محمود إبراهيم السعدني، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠م)، ص ص٧٤-١١٠.

(٧٣) عن هذا الدوْر يقول :"وعندما أعاد الرب المدينة إلينا لم نرَ بالقرب من معسكرنا إلا عربًا من البدو، كانوا يأتون من وقت لآخر على مقربة ميلين بالقرب من معسكرنا، ثم يلوذون بالفرار عندما يشرع رماة

سهامنا بالتصويب ضدهم. وكان هؤلاء البدو يأتون ليلاً لسرقة الخيول ولقطع رؤوس الرجال، ويقال إن سلطان مصر كان يعطي على كل رأس صليبي تُجلب له عشرة بيزنط". انظر مجهول: تتمة كتاب وليم الصوري، ص ص١٥٦-١٥٧.

(٧٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ص٧٦؛ يسري عبدالله زيدان، "دوْر المطوعة في هزيمة الصليبيين في المنصورة ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م"، مجلة كلية دار العلوم، العدد ٦١، أكتوبر ٢٠١١م، ص ٤٩.

(٧٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٦، ص ص١٠٦-١١٠؛ يسري زيدان، "دوْر المطوعة"، ص٥٠.

(٧٦) محمد مصطفى زيادة، هزيمة لويس، ص١٥٧؛ يسري زيدان، "دور المطوعة"، ص٥٣.